

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ١٥ / ١٩٩٩

الأحد ١١ نيسان

الفصح المقدس

المسيح قام

حقاً قام

الرسالة (أعمال الرسل ١ : ١ - ٨)

الإنجيل (يوحنا ١ : ١ - ١٧)

+ أسبوع التجديدات

يسمى الأسبوع الممتد من أحد الفصح الى أحد توما أو الأحد الجديد، أسبوع التجديدات، وفيه تبقى أبواب الهيكل، أي أبواب الأيقونسطاس في الكنيسة مفتوحة. فالمسيح فتح لنا أبواب الفردوس و"انشقّ حجاب الهيكل" (متى ٢٧: ٥١) ولم يعد أي حاجز يمنع دخولنا الى الملكوت ولا شيء يفصل بين الأرض والسماء. في كل يوم من أيام هذا الأسبوع نرتل خدمة الفصح بحسب ألحان الكنيسة الثمانية على التوالي وكان هذا الأسبوع يوم واحد غير منقطع، وكأننا في عالم مختلف، عالم الملكوت، نعيش فيه فرح القيامة التي هي ركيزة إيماننا.

قد تكون عادة حفظ أسبوع كامل للإحتفال بعيد الفصح متعلّقة بعيد الفصح (العبور) اليهودي والخبز الخمير. بالنسبة للمسيحيين، ما ورد في إنجيل يوحنا عن ظهورات المسيح عشية القيامة (١٩:٢٠) وبعد ثمانية أيام (٢٦:٢٠)، هو مبرّر الإحتفال بالفصح طيلة الأسبوع الذي يلي القيامة.

في القرن الرابع، عندما كانت معمودية الموعوظين تتم ليلة الفصح، كان هذا الأسبوع مناسبة لكي يأتي المعمّدون حديثاً، كل يوم، لسماع العظات. يقول القديس كيرلس أسقف أورشليم (القرن الرابع) في العظة الثامنة عشرة من سلسلة العظات الموجهة الى الموعوظين: "وبعد يوم الفصح المقدس الخلاصي سنتسمعون في كل يوم من أيام الأسبوع، إبتداءً من يوم الإثنين، وقد اجتمعتم في مكان القيامة، حالاً بعد القداس، عظات تتعلّمون فيها أسباب كل حفلة أُقيمت (طقوس المعمودية)، والأدلة عليها مستقاة من العهدين القديم والجديد. أولاً، كل ما سبق العماد مباشرة، ثم كيف طهّرکم الرب من خطاياکم "بغسل الماء بالكلمة" (أف ٥:٢٦)، وكيف على غرار الكهنة أصبحتم شركاء في اسم المسيح، وكيف أُعطيتم ختم موهبة الروح القدس. وستتعلّمون كذلك أسرار العهد الجديد التي جرت في الكنيسة وابتدأت من هذا المكان، وما أوردته الكتب الإلهية عنها، وما هي قوتها، وكيف يجب الإقتراب منها، وكيف ومتى يمكن تقبّلها. وفي النهاية ستتعلّمون كيف يقتضي عليكم من الآن فصاعداً أن تتصرفوا، سواء في أقوالکم أو في أفعالکم، حتى تستحقوا النعمة، وحتى تستطيعوا جميعاً التمتع بالحياة الأبدية".

لقد دخل هؤلاء الملكوت في معمديتهم وألبسوا الحلة البيضاء ومُسحوا بالميرون، وكانوا يبقون في هذه الحلة ثمانية أيام وكأنهم في الملكوت، وبعدها يتم غسلهم وقص شعرهم. نذكر أن طقسي غسل المعمود وقصّ شعره ما زالوا يسميان في كتب الصلوات، في أيامنا هذه، طقوس اليوم الثامن، للدلالة على أنها كانت تتم في اليوم الثامن بعد معمديتهم.

خلاصة القول أن المعمّدين حديثاً كانوا يقصدون الكنيسة كل يوم من الأسبوع الذي يلي الفصح ليجدوا معمديتهم وإيمانهم بقيامة الرب التي هي أساس لاهوت المعمودية، وكانوا يغتسلون في نهايتها لكي يعودوا الى العالم بعد أن قضوا أياماً ثمانية في الملكوت، ويقصون شعورهم كجنود للمسيح مستعدين للدفاع عن إيمانهم حتى الشهادة.

هكذا نحن اليوم، في أسبوع التجديدات، نعيد ترتيل خدمة الفصح لنجدد إيماننا بالقيامة، بعد أن عشنا الملكوت وتذوقناه يوم الفصح، فنخرج الى العالم ونشهد للملكوت الذي عشناه ونحيا على رجاء تحقيق دخولنا الأخير فيه في المجيء الثاني.

ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس قداس أحد الشعانين في كنيسة مار الياس بطينا حيث احتشد المؤمنون، وألقى بعد الإنجيل عظة استهلها بذكر النبوءات التي ذكرت يسوع المسيح، ثم تكلم عن يسوع الذي "ظهر لنا إلهاً يقيم الموتى ... وأظهر محبته كإنسان وبكى على صديقه ... يسوع بكى لأن تجسده لا يكتمل إذا لم يبكي كإنسان ويتألم مثله. لكن بكاء بعض الناس كالتمساح يذرف دموعه. هذا الإله الذي يقيم الموتى ويبكي كالبشر ويرتجف قلبه يدخل اليوم أورشليم ملكاً بسلامه ومحبته وتواضعه وفقره، جالساً على جحش ابن أتان كالفقراء الذي يتجولون بين الكروم، وكأنه أراد أن يقول إن أقوىاء هذا الدهر ضعفاء لأنهم يستعينون بالسلاح ليقتلوا ويدمروا. أيديهم ضعيفة وقلوبهم كذلك والرصاصة هي القوية. هم ليسوا أقوىاء لذلك يستعينون بالسلاح القوي. هم جنباء لأنهم يخافون كلمة تُقال عنهم وحرماً يُكتب، ويرتجفون إذا سمعوا كلاماً ينتقد شراً عملوه، لذلك يبثون العيون والجواسيس بين الجموع لكي يأسروا قلوبهم والأفكار. أقوىاء هذا العالم جنباء لأنهم يخافون الصوت والكلمة لكن الحق لا يخاف. من تكلم على الحق وأسر الحرية كاذب. لذلك علمنا يسوع أن نحكم بالمحبة ومن لا يستطيع فهو قاتل بحقه. البغض قاتل وإن لم يقتل جسداً لأنه يقتل النفس والروح. يسوع أتى ليبعد القضاء والناموس كما جاء في نبوءة صفيانيا، فنعيش في ظل النعمة والمحبة. يسوع أتى ليكمل الناموس، ليوصله الى كماله، لذلك وإن ارتحنا بعض الشيء للناموس أي القانون، فهو باطل إن لم يلتحف بالمحبة والرحمة والعطف والاحتضان وشاحاً. القانون أعمى وظالم أما الإنسان فيبصر ويحب. فلا نفتخرن بالقانون لأن الظلم قد يكون نتيجة له. القلب وحده يحكم باللطف والمحبة والدمع والاحتضان ويرفع الإنسان من جب الخطيئة واليأس الى آفاق الحرية والانعقاد حيث الفرح والرجاء.

يسوع ملك السلام والمحبة والتواضع وهو القاتل "إن لم ترجعوا وتصيروا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت السموات" (متى ١٨: ٣). وعندما منعوا عنه الأطفال قال دعوهم يأتون إليّ (متى ١٩: ١٤) وباركهم. ومن رحب بيسوع وعرف أن الداخل على جحش ابن أتان هو ملك وربّ الآلّ قلوب الأطفال التي تعرف ببراءة؟ الأطفال تهرع نحو الفرح ببراءة. الطفل إذا أحبّ لا يكذب. قد لا يحبّك وهو صادق في عدم محبّته وإذا أحبّ فهو لا يتملّق. في الحالين هو صادق ولو لم يكن على معرفة. سكّان الملكوت أناس كالأطفال أبرياء، صادقون ولا خبرة لهم بالشرّ.

يسوع أتى متواضعاً والأطفال فرشوا أمامه ثيابهم وسعف النخل كما لملك. هو يملك على ما في الأرض وفي السماء لكنه أتى بطبيعته الإلهية والإنسانية ليكمل عمله ببسط سلطانه على الموت، عدو الإنسان الأول. وملك المحبة والسلام تجسد ليخلص الأمم جميعها. لم يأت من أجل فئة أو شعب أو مدينة. أتى من أجل كل إنسان وعندما انتصر على الموت صار كل إنسان منتصراً أي إلهاً لا عدو له. عدو الإنسان الأكبر هو الموت والإنسان يعمل خوفاً من الموت ويأكل خوفاً من الموت ويطلب مجداً لينسى ظلام الموت ويسخر حياته كلها ضد الموت لذلك أتى يسوع ليخلص الإنسان من عدوه الأول. تجسد ليؤله الإنسان، كل إنسان. هذا هو الملك الحقيقي، فيما حكام الأرض يفرزون من يصفق لهم عن لا يصفق. يجب ألا يشعر أي مواطن بالغيرة في وطنه شاباً كان أو كهلاً، لأن الضمير لا يقبل بهذا. أليس على الأب الحاكم أن يحتضن كل إنسان وأن يغفر لكل إنسان؟ هل يحمل الأب أخطاء أبنائه لسنين طويلة ويرذلهم؟ أي أب يكون وأي قانون يتوسل؟ وإذا كان القانون وسيلة بعد أو بغض فبئس القانون. إن لم تكن المحبة وكان القانون ستصبح بلادنا جافة قاحلة. القانون مهم جداً وضروري لكي يسود العدل والبر والمساواة، أما القداسة فلا تأتي إلا من طريق المحبة.

ك مواطن وكمحب لبلدي وكمسؤول صغير في هذا الوطن أتساءل في هذه الأيام، فيما الكلام على المحاكمات وعلى الملفات الكبيرة والصغيرة - وفتحها مهم جداً - أتساءل سؤالا بريئاً وبسيطاً: هل من اعتبروه شريراً أو خاطئاً أو مرتكباً المخالفات كان وحده هكذا؟ وأين كان النواب والوزراء والمسؤولون والمواطنون؟ كلنا مسؤول. أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً في كنيستي دون معرفة الجميع إلا إذا كانوا غافلين. الذين أخطأوا لم يعملوا في الظلمة. أين كانت البارحة أصوات من يتكلمون اليوم؟ أين كان المنتقدون؟ أين كان الجميع؟ فيما أصبح ملك السلام والعدل، ملك الجميع، أصلي من أجل أن يحب الحكام كل إنسان ويعاملوا الجميع بالمساواة وأن يحكموا بالعدل ويطبّقوا القانون على الجميع ولا يتهموا أحداً دون إعلان خطاه ولا يتغاضوا عن أخطاء أحد إنما بعد دراسة دقيقة. المواطنون جميعاً يحملون بدولة العدل والقانون، والجميع يصبون إلى تصحيح الخطأ، لكن الكرامة عالية على الجميع، ولا تستطيع أن تسيء إلى إنسان ثم تطلب المغفرة منه. طلب المغفرة عمل جيد للتوبة لكن السوء يكون قد حصل. جميل الكلام على الشفافية شرط أن تطبق على الجميع دون تمييز، ويجب أن تقطع يدنا عن كل فعل لا نستطيع القيام به تجاه الجميع بدون أي استثناء. ليس في بلدي ابن سيده وابن جارية. كلنا أسياد في وطننا وقد قبلناه كما هو بحريتنا المطلقة.

ما يدفعني الى قول ما أقول خوفاً أن تنتسب بكلمات أو أفعال ظاهرها بريء لكنها لا تحمل من البراءة شيئاً. السيد السيد لا يصغي إلا الى ضميره ويعمل ما يمليه عليه، وإن كان لا يستطيع أمراً يعترف بتواضع ولا يدعي ما ليس في طاقته.

ويا إخوتي، ملكنا اليوم يلقي وشاحه علينا جميعاً ومن لا يحبه الناس يحبه الله. وإذا لم يذرف إنسان دمعة معك لجرح فيه أو إذا أساء إليك أحد وأنت بريء وإذا اتهمت دون أن تعرف السبب فتعزيتك أن يسوع ظلّم وظلم كثيراً.

التاريخ ليس بالأشخاص وحسب إنما بالأعمال أيضاً. في هذا اليوم المبارك أصلي من أجل أن يكون تاريخ وطننا مجيداً ومن أجل أن يكون كل إنسان في لبنان محبوباً، دون استثناء وبالمساواة. البلد يقوم على همّة الشباب فلا تثبطوا همهم، والوطن لجميع أبنائه فلا تقرّبوا الأزلام فقط. كلنا أزلام الوطن لا أزلام أشخاص أو هكذا يجب أن نكون. ومهما تواضعنا شكلاً، المهم تواضع القلب والاعتراف بعدم المقدرة أو الجهل، وليكن كل عمل نقوم به عملاً يرضي الله والضمير وكل إنسان. لنخفف الممالقة ولنهتد إلى الهدوء. لننتروا ولنحب بعضنا بعضاً ليعرف الجميع أننا من أزلام الرب. آمين.

* حرب كوسوفو

كان لمختلف رؤساء الكنائس الأرثوذكسية ردات فعل حول ما يجري في كوسوفو
نورد في ما يلي بعضها :

+ بطيركية أنطاكية

وجه غبطة بطيريك أنطاكية وسائر المشرق أغناطيوس الرابع رسالة الى أخيه بافل
بطيريك الصرب يعرب له فيها عن قلقه لما يجري في كوسوفو وصلواته من أجل أن يعم
السلام في هذه البقعة من العالم وفي العالم أجمع.

+ البطيركية المسكونية

ناشد البطيريك المسكوني برثلماوس الأول مسؤولي العالم والقوات المسلحة، "باسم
الله الذي يحب البشر، وباسم البشرية والحضارة"، وفي هذه الأيام الحافلة بأعياد المسلمين
والمسيحيين واليهود، أن يوقفوا النار فوراً ودائماً، وأن يتوسلوا التفاهم من أجل حلّ مشاكلهم
المناطقية أو العالمية بسلام.

+ بطيركية الإسكندرية

أدان قداسة بابا و بطيريك الإسكندرية بطرس السابع الضربات الجوية التي يوجهها
الحلف الأطلسي ضد الأمة الصربية الأرثوذكسية، كما وجه نداء حاراً الى كافة قادة الحلف

بضرورة الإنهاء الفوري لقصف الأراضي الصربية وإيجاد حلّ للمشاكل السياسية في تلك المنطقة : "يمكن تحقيق السلام فقط عبر روح المحبة الحقيقية. هكذا يسود العدل. الحرب، خلال تاريخ البشر الطويل، لم تجلب أية نتائج إيجابية. فرض السلام بالقوة لن يوطد السلام بين الشعوب. الطريق الوحيد هو عبر المحادثات الصادقة وحلّ سياسي عادل. كافة البشر، أكانوا قادة سياسيين أو روحيين أو من عامة الناس، ينتظرون بلوغ الألف الثالث للمسيحية. فهل سنستقبل العالم ٢٠٠٠ بالحروب وسفك دماء البشر، مع إهراق دم الأطفال الأبرياء والنساء والمسالمين ؟ لنضع حداً لجريمة هايل ؛ لنتوقف عن ري الأرض بدم البشر. ألم نكتفِ حروباً ؟ ألم يحن الوقت ليعود الحكام والذين في السلطة الى رشدهم ؟ ألم يرووا عطشهم بشربهم كأس الغرور والإستبداد بالأمم الفقيرة ؟ فيما نحن نقترّب من الفصح المقدس، دعنا لا نحتفل بصلب المسيح عبر صلب الصرب ؛ دعنا لا ندفن جسد المسيح الطاهر عبر دفن أمة أرثوذكسية ؛ دعنا لا نحتفل بقيامة المسيح المجيدة بالدموع والبكاء على أرواح الذين ماتوا، بل لنرفع قلوبنا وأنفسنا للمسيح يسوع مخلص جنس البشر، لأنه وحده ملك الملوك، فلنسأله أن يبيث السلام في قلوب حكام هذه الأرض وأن يجلب السلام لا لصربيا فقط، بل لكل الأمم حول العالم".

+ البطيركية الروسية

أرسل قداسة البطيريك ألكسي الثاني بطيريك موسكو وكل روسيا، رسالة الى كل من الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان والرئيس الأميركي بيل كلنتون أعرب فيها عن استيائه من الضربات العسكرية التي يقوم بها الحلف الأطلسي على أراضي جمهورية يوغوسلافيا الإتحادية، ومما جاء في الرسالة : "بألم كبير تلقيت نبأ الضربات الجوية التي يقوم بها الحلف الأطلسي ضد الأهداف العسكرية والمدنية في جمهورية يوغوسلافيا الإتحادية. إن موقف الكنيسة الأرثوذكسية الروسية هو موقف رافض لهذا العمل المشروع وغير العادل".

وكان قداسة قد قال عشية بدء هذه الضربات العسكرية : "لقد ولدت التقارير التي أوردت قرار الحلف الأطلسي بدء الضربات الجوية ضد يوغوسلافيا قلقاً كبيراً في نفوس المؤمنين في الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. كما هو معلوم، أن تاريخ البلقان، حيث تجري الصراعات اليوم، هو تاريخ معقد. الحرب العالمية الأولى التي بدأت هناك في بداية هذا القرن لم تجلب الآلام للأوروبيين فقط، بل ولشعوب مختلف القارات التي اشتركت في الصراعات المسلحة. من المقلق جداً أن يؤدي القصف الى مزيد من سفك الدم وازهاق نفوس المدنيين، إضافة الى كونه قد يصيب معالم حضارية ودينية فريدة في الأرض الصربية. بالنسبة للصرب الأرثوذكس، كوسوفو ليست مجرد موقع على الخريطة الجغرافية، بل هي مكان مقدس فيه

العديد من الكنائس والأديرة. نحن ندعم موقف الكنيسة الأرثوذكسية الصربية الشقيقة بأن أي تدخل عسكري للحلف الأطلسي في يوغوسلافيا غير مسموح. نحن مقتنعون أن الحوار الهادئ والحل السلمي وحدهما يؤديان إلى حل الصراع حول كوسوفو. وبدون شك، يجب أن توجه جهود المجتمع الدولي نحو مساعدة كافة أفرقاء النزاع في كوسوفو للمساهمة موضوعياً في الوضع المتأزم، وحل المشاكل المتراكمة على طاولة المفاوضات. باسم الكنيسة الأرثوذكسية الروسية أدعو قادة دول حلف شمال الأطلسي، وقادة الحلف أنفسهم، إلى منع استعمال القوة العسكرية ضد الجمهورية اليوغوسلافية المستقلة، لأن استعمالها قد يؤدي إلى رفع مستوى العداء في قلب أوروبا، كما أدعو كافة فرقاء النزاع في كوسوفو، الصرب والألبان، أن يجتمعوا ويوقفوا سفك الدم، وأن يضعوا السلاح جانباً ويبدأوا ببناء حياة سلام وعدل ... أصلي لكي يغلب المنطق على صانعي القرار اليوم."

كذلك استنكر قداسة البطريرك الروسي ألكسي الثاني تصرف الطيارين الإنكليز الذين كتبوا على القنابل التي ألغوها على يوغوسلافيا : "فصح سعيد"، وجرحوا مشاعر الشعب الصربي الدينية. ومما قاله قداسته : " إن دول الحلف الأطلسي التي تسمى نفسها مسيحية هي بعدية كل البعد عن المسيحية. إن ما تقوم به هذه الدول انتهاك للحرمانات."

+ كنيسة اليونان

سيادة رئيس أساقفة اليونان خريستودولس قال : "أود أن أعرب عن أسفي وأرفع صوت التضرع والصلاة عالياً إلى كل المشتركين في مشكلة كوسوفو، كي يمارسوا أقصى أنواع ضبط النفس ويستعملوا المنطق مع مشاعر المحبة والتفهم والصبر. يجب تجنب العنف الأعمى المستمر، مهما كان الثمن، وتجنب الحرب خاصة، لأنها لا تجلب إلا الدمار والموت. وقد برهن الزمن مراراً عديدة أن العنف لا يولد إلا الحلول المؤقتة. يجب تجنب العنف والحرب بأي ثمن لأنهما إلى جانب الدمار الذي يحدثانه، يسببان ازهاق أرواح الناس الغالية، وكل حياة بالنسبة لإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح فريدة ولا تقدر بثمن.

هذه الأيام، أنا أصلي بحرارة من أجل السلام في كل العالم، وخصوصاً من أجل أن تعم في كوسوفو محبة الإنسان واحترامه على أنه صورة الله. أصلي أيضاً من أجل العدل واحترام حقوق الإنسان في هذه المنطقة بغض النظر عن جنسيتهم وأديانهم. يجب ألا ندخل القرن الحادي والعشرين مع حرب دموية أخرى في أوروبا، قد تعني فيما تعنيه إفلاساً للقيم والمؤسسات."

+ كنيسة ألمانيا

في ٢٤ آذار التقى أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية في ألمانيا والأسقف رالف كوب Rolf Koppe من الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا في الكنيسة الأنطاكية الأرثوذكسية في Cologne-Seeberg، وناقشوا بقلق التطورات الأخيرة في صربيا. وقد أعربوا عن قلقهم من إمكانية نشوء حرب في صربيا قد يكون لها نتائج غير متوقعة على شعب هذه المناطق وتصيب المدنيين بضرر كبير. وقد تأثر المجتمعون بالعرض الذي قدمه ممثل الكنيسة الصربية الأرثوذكسية في ألمانيا حول آخر تطورات الوضع مبديا انزعاجه من العرض المنحاز في المجتمع والاعلام الإلمانيين للأسباب التي أدت الى الوضع، وقد صورت الحالة وكأنها تتطلب تدخل الحلف الأطلسي. وشدد على أن كل تدخل للقوات الأطلسية سوف يجلب الضرر الأكبر والتعاسة للأبرياء ولصربيا عامة. تجاه هذه الحال اليائسة يدعو الأساقفة الأرثوذكس كل الأرثوذكس والبروتستانت والكاثوليك وكافة المسيحيين أن يرفعوا الصلاة في خدمهم يوم الأحد من أجل السلام ومن أجل شعب صربيا وكوسوفو.

+ من يدحرج لنا الحجر ؟

هوذا صباح يوم الفصح والنساء اللواتي يأتين عند الفجر، الى القبر، حاملات حنوطه يقلن بعضهن لبعض : "من يدحرج لنا الحجر ؟". فإن الحجر، إذ كان "كبيرا جدا"، يسد مدخل القبر. ومن غير المحتمل، حسب أي تقدير بشري، أن تتمكن النساء من الوصول الى جسد الرب.

يبدو يسوع، في أكثر الأحيان، مسجوناً في نفسي، وعاجزاً، مثلما كان في القبر قبل القيامة، وحجر خطيئتي الثقيل يبقيه في هذه الحالة. كم مرة تمنيت أن أرى يسوع ينهض في، بنوره وقوته. كم مرة حاولت أن أدحرج الحجر لكن دون جدوى. إن ثقل الخطيئة، وتقل العادة قويان جدا ؛ فكنت أقول في نفسي وأنا أوشك أن أفقد الأمل : "من يدحرج لي الحجر ؟". إلا أن النساء في طريقهن الى القبر ؛ ومسيرتهن فعل إيمان مطلق ؛ وسيلقى هذا الإيمان - أو الجنون - جزاء حسناً. وعلي، أنا أيضاً، أن أثابر على الأمل المجنون بأن يدحرج الحجر.

لكن النساء اللواتي يمضين الى القبر لسن فارغات الأيدي. فهن يحملن الطيب الذي اشتريته ليحطن جسد المسيح. ويفترض بي، إذا رغبت في أن يزاح الحجر عن نفسي، أن آتي بشيء، دلالة وبرهانا على نيتي الطيبة، على الأقل، وقد يكون هذا الشيء ضئيلاً، لكنه يقتضي أن يكفني غالباً ويأخذ طابع التضحية.

وها هنّ النساء يجدن الحجر قد أزيح عن مدخل القبر ؛ وذلك بطريقة لم يتوقعنها. "وكان زلزال عظيم قد حدث، لأن ملاك الرب انحدر من السماء وأتى ودحرج الحجر". فإزاحة الحجر تستدعي كارثة أرضية، ولم تكن اندفاعاً أو إصلاح وضع جزئيّ كافياً لذلك، ولا يمكن أيضاً أن يُزاح الحجر الذي يجمد ويشلّ حركة يسوع في نفسي إلا بهزة أرضية، أي بكارثة داخلية عنيفة، وبتغيير جذريّ وكلّيّ. يجب أن ترزعني زلزلة خاطفة، لأن يسوع لا ينبعث فيّ إلا إذا انتهى الإنسان الذي كنته، مخلياً المكان للإنسان الجديد لا بطريقة الإصلاح والإيضاح، بل بالموت ثم الولادة.

يبلغ الملاك الى التلاميذ أن يسوع القائم من بين الأموات ينتظرهم في الجليل. ويجدد يسوع نفسه هذا الأمر : "إذهبن وقلن لإخوتي ليذهبن الى الجليل، فهناك يرونني". فلم العودة هذه الى الجليل ؟ ترى، أيرغب يسوع في أن يجنّب تلاميذه عداوة اليهود ؟ أم تراه يريد أن يضمن لهم أياماً من التأمل والسكينة، بعد هموم فترة الآلام ؟ كل هذا محتمل ؛ لكن هناك، على ما يبدو، سبباً أبعد غوراً. ففي الجليل، كان التلاميذ قد التقوا بيسوع. وهناك سمعوا الدعوة وبدأوا باتباعه. ولا بد أن ذكرى هذه الأيام حفظت في نفوسهم نداوة الربيع. ويشاء يسوع، بعد خياناتهم في الأسبوع الأخير، أن يعيدهم الى الندوة والحماسة السابقتين. إنه يريد أن يجدد فيهم تأثر وقرار اللقاء الأول ؛ وفي الجو الجليلي المنتعش به يكمل وحيه.

إن في حياة كلّ منا "جليلاً" - أو هو مائل، أقله، في حياة الذين بيننا صادفوا ذات يوم المخلّص وأحبّوه. وهذا الجليل في حياتي هو يوم وعيت أن يسوع ينظر إليّ، ويدعوني باسمي وقد مضت سنوات كثيرة على ذلك الوقت. ويحتمل أن خطايا لا تحصى قد أثقلت هذه السنوات ؛ كأني نسيت يسوع المسيح. لكن من لقي يسوع لمرة لا يستطيع أن ينساه. ويسوع يدعوني للعودة الى "جليل" نفسي، وإحياء المودة والحماسة السابقتين، فيّ. عند ذلك أراه من جديد.

أنا أتمنى يا رب أن أعود الى الجليل. فهل ترى ألقاك ثانية ؟ كيف لي أن ألهب نفسي التي صارت شديدة البرودة ؟ وهل تكفي ذكرى "جليلنا" لتبعث تأثر لقائنا الأول ؟
"إنه يسبقكم الى الجليل". لن تضطر، يا بنيّ، أن تستدعي في مشقة حضوري. فسأكون ملتزماً بالموعد الذي أعطيتك. وسأقوم بأكثر من انتظارك في "جليل" الذكرى. فها أنا أسبقك وأقودك إليه وعندما يصبح قلبك من جديد مستقراً في الجليل، ينكشف لك دليلك، ويتحدّث إليك.

الأب ليف جيليه